

الكون يقرؤه العالم والجاهل والكبير والصغير والمتعلم والامي، وكتاب مقروء أنزله على نبيه ليرشد الناس إلى آثار قدرة الله بديع السموات والأرض.

ورغم أن المقصود الأسمى من هذا الكتاب هو الهداية والإرشاد إلا أنه مع ذلك حوى أصول الإعجاز التشريعي والنفسي والبياني والعلمي.

وإن من أدلة إعجاز هذا الكتاب الكريم أن يخطئ الناس في تفسيره على اختلاف العصور لضعف وسائلهم العلمية ولقصر حبالهم أن تعلق بأطراف السموات أو تحيط بالأرض، ثم تصيب الطبيعة نفسها في كشف معانيه، فكلما تقدمت العلوم ونازعت إلى الكشف والاختراع واستكملت آلات البحث ظهرت حقائقه الطبيعية، ناصعة حتى كأن القرآن غاية لا يزال عقل الإنسان يتطلع إليها.

ولا عجب في ذلك، فالعقل أثر من آثار الله، والوحي أثر من آثار الله وآثار الله لا تناقض بينها ولا اضطراب.

قال تعالى: ﴿مَا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَٰوُتٍ﴾ (الملك: ٣).

﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (يوسف: ٢١).

٧- عناصر الجمال الفني في القرآن

من نواحي الإعجاز في القرآن الكريم أنه يعرض أمامك الصورة البارعة التي تأخذ الألباب وتستولي على الأفتدة فتتحول إلى مشهد رائع أو لوحة خالدة.

وقد نزل القرآن على العرب والامية فيهم منتشرة فعرض عليهم كتاب الكون بكل ما فيه، وقدم لهم لوحات خالدة وصورا مثيرة تستلفت نظر الأعمى والبصير والامي والمتعلم، والمرأة والرجل، والشيخ والشاب، فهو كتاب العامة والخاصة على السواء.

وقد كان القرآن المكّي يستلفت أنظار الناس إلى جمال هذا الكون ويديع صنعته، ويسترسل في سوق الأدلة المتتالية حتى يأخذ على النفس كل طريق فلا تجرد سبيلا من الإذعان والإيمان عن قناعة حقة بأن هذا الكون لم يخلق عبثا ولن يترك سدى.